د. توفيق بن زردة – جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي

عنوان الدراسة:

جدلية الريف والمدينة في معركة الجزائر(1957)

-مقاربة تاريخية أنثروبولوجية-

مقدمـــــــــــــــــــــــة:

لقد فرض الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياقا تدميريا للمجتمعات الريفية، وتشكلاتها الاجتماعية، وذلك بعد أن فكك القبائل وأخرجها من دائرة الروابط النفعية والجماعوية، وأدخل عليها مفهوم الملكية الفردية، دون أن يشكل هذا على المستويين الاجتماعي والتاريخي استجابة لعلاقة اجتماعية جديدة، حدثت بفعل تغيرات داخلية حادثة. بقدر ما كانت عنفا تشريعيا، وحربا شاملة استهدفت العلاقة القائمة بين الإنسان والأرض.

كما أنتجت المدرسة الكولونيالية بشكل موازي، نسقا اجتماعيا دخيلا بمدلولاته التاريخية والثقافية، تمثل في الجاليات الأوروبية، التي أخذت تجمعاتها السكانية ومراكزها الاستيطانية تنتشر كالفطريات في الفضاءات الساحلية، و الأحواض الداخلية والسهلية وحول المراكز العمرانية الكبرى على غرار مدينة الجزائر التي بنيت من حولها مستوطنات القبة (1832) وبوفاريك (1839) وعين البنيان (1845) والشراقة (1846)...الخ

وأمام هذه الظاهرة السالبة والمشوشة للبنية التاريخية والعمرانية للجزائر، تحولت المدينة فيها إلى وعاء اجتماعي أوروبي بامتياز ، بينما اقترن الريف بالأهلي المقيم في أحواز المدينة وأطرافها، وفي عمق الجزائر بجبالها وسهولها.

لقد كانت واحدة من أولويات بناء الفعل الثوري خلال حرب التحرير، هو ضرب أكبر حاضنة اجتماعية للكولون في الجزائر المستعمرة وهي مدينة الجزائر، لذلك بنينا هذه الورقة البحثية، عن دور الشهيد العربي بن مهيدي ومنظرو الثورة التحريرية منذ نهاية سنة 1956 في تركيب استراتيجية بنيوية تجعل موازين الثورة وثقلها ينتقل من الريف إلى المدينة ؟ من خلال تمحيص يحاكي المحصلات التاريخية، وقراءة تحفر في المقاربات الأنثروبولوجية .

1.مدينة الجزائر: حلقة صدام في البحر المتوسط

انتقل طموح العثمانيين مع بداية القرن السادس عشر إلى القسم الغربي من البحر المتوسط، حيث الأجواء التي تغمرها الصدمة (سقوط غرناطة 1492)، ويطبعها التقزم الجغرافي والهزال السياسي، لبعض الممالك الأسرية على غرار الحفصيين والزيانيين، والامارات مثل كوكو وبني عباس[1]، حيث كان " الاستنجاد"

بمغامرين من البحارة مطلب محلي بحري (ليس داخلي) سرعان ما حوله العثمانيون إلى مشروع اقليمي، أعاد رسم الخريطة السياسية والجيواستراتيجية لشمال غرب افريقيا.

في الواقع تفكك المشروع الاقليمي العثماني في شمال غرب افريقيا على صعيدين متناقضين، كان الفاعل فيهما المقدس والأقدس، حيث استطاع العثمانيون وفي غمرة النجدات المحلية الساحلية، تدفعها القوة العسكرية ومظلة الخلافة من القضاء على المملكتين الأسريتين الزيانية بتلمسان (1555) والحفصية بتونس (1571)، رغم تحالفهما مع الاسبان لإنقاذ ما يمكن انقاذه، حيث كانت مدينة الجزائر في هذه المرحلة مركز صناعة هذه التحولات في بعدها التوسعي[2].

في المقابل انكسر المشروع العثماني أمام السعديين (1554-1659) في المغرب الأقصى، لأنهم اصطدموا بكيان شريفي استمد قوته واستلهم وجوده من آل بيت النبي محمد (صلى) وهو الكيان الذي رأى في هؤلاء البحارة المغامرون تهديدا خارجيا تطبعه الصبغة الدينية المنحرفة، لذلك لم يتوانوا في التحالف مع الاسبان ضد العثمانيين، وهو تحالف جغرافي- تاريخي، تجاوز مفهوم الروابط الدينية لما كان يمثله الفضاء الأيبيري- المغربي من وحدة ترابية، تقاطعت فيها الأحداث التاريخية منذ فتح المسلمين للأندلس سنة 711م[3].

بعد أن توقف النفوذ العثماني عند الأشراف السعديين بالمغرب الأقصى، كيفوا ما أصبح تحت سلطانهم في الضفة الجنوبية للمتوسط على نحو جعلوا فيه من فضاء الجزائر مجالا عسكريا متقدما ومن حاضرة الجزائر عاصمة سياسية- عسكرية وقاعدة مركزية تنطلق منها الأعمال البحرية، ضد دول أوربا الغربية خاصة[4].

لقد كانت أعمال القرصنة وتجارة العبيد التي تنطلق خاصة من مدينة الجزائر كافية لتصنع في المخيال الأوروبي صورة مفزعة ملمحها يتشكل في اللصوصية المفرطة وقطاع الطرق، وتحولت مدينة الجزائر في نظرهم إلى "عش القرصنة" ضمن خط ساحلي شمالي ينطلق من مصر وصولا إلى الجزائر، قامت فيه أنظمة حكم محلية أطلقوا عليها تسمية الدول البربرية (Les Etats Barbaresques)[5].

2. في مرمى التفكيك والتصفية:

تحولت مدينة الجزائر قبل مرحلة الاستعمار الفرنسي إلى "حاضرة مفتاحية" في جنوب المتوسط والسيطرة عليها تتيح النفوذ الجيواستراتيجي، لذلك لم يتوانى شارل الخامس (شالكان) سنة 1541 من توجيه واحدة من أكبر الحملات الأوروبية على هذه المدينة، ومع أمواج البحر العاتية التي تراطمت معها سفن الحملة وانكسرت، تحولت هذه الحاضرة إلى "المحروسة" التي تحميها العناية الالاهية من كل كرب ومكروه.

لقد بقيت هذه المدينة العاصمة تشكل في المخيال الأوروبي، مصدرا للغزو وتجارة الرقيق الذي أزعجهم طيلة قرون حيث وبعد النقلة الحضارية، كان مؤتمر فيينا 1815 بمثابة اعلان بداية القضاء على هذه الظاهرة عسكريا، عندما نظمت حملة بريطانية هولندية بقيادة اللورد اكسموث، برفقة الأمير الهولندي "فان كابلان"، سنة 1816، قصفت مدينة الجزائر، التي كانت في نظرهم هي " عش القرصنة " كما استطاعت تحرير الكثير من الأسرى الأوروبيين[6] وتوسعت دائرة التحامل الأوروبي أكثر بعد مؤتمر اكس لاشابيل في جنوب ألمانيا 1818 من طرف القوى الخمسة الكبرى " انجلترا وفرنسا وروسيا و بروسيا و النمسا" ، بعد اتفاق توقيع بروتوكول 20نوفمبر1818[7].

لقد تحولت الجزائر في المرحلة التي استكملت فيها الدول الأوروبية نهضتها، هدفا مبكرا ومباشرا لعملية الاحتلال، حيث تبنت فرنسا في عهد شارل العاشر، فكرة الاحتلال المبكر لهذه المدينة (1830)، التي وصل الأمر إلى تبني أساطير حول خزينتها في القصبة التي تمتلأ بأموال وكنوز "القرصنة"[8].

3.الريف يدافع:

بعد حصار بحري دام ثلاث سنوات (1827-1830)، كسر بريقها وأنهك اطلالتها المتوسطية، سقطت مدينة الجزائر، في يد الاحتلال الفرنسي يوم 05 جويلية 1830، وأقيم في أشهر مساجدها أول قداس، كإعلان رمزي عن عودة المسيحية إلى فضاء افريقيا الشمالية، و توالت النكسات على المدينة- العاصمة حين تم افراغها من العامل البشري المتمثل في الأتراك، الذين لطالما تحكموا في دواليب السلطة وصناعة القرار على أكثر من صعيد طيلة ثلاثة قرون، في الوقت الذي همشوا فيه العنصر المحلي عن لعب هذا الدور[9].

وأخذ العنصر الفرنسي يجد له مكانا في هذه المدينة عندما تم "تحرير" 122 شخص من الأرقاء الفرنسيين، كما عمد ديبرمون إلى إعادة ترتيب الحاضرة بما يتلاءم مع الاحتلال، وفي هذه الأجواء التي افرغت فيه المدينة من محتواها السياسي والقيادي، وعجز المدن الأخرى في صناعة قيادة جديدة، برز هنا دور الريف الذي حل محل دور المدينة في دحر الاحتلال، حيث برزت قيادات وزعامات محلية على غرار علي السعدي، ومحمد بن

زعموم، والأمير عبد القادر، حيث تشكلت المقاومة في مظاهر العزلة والتطويق التي فرضت على المدينة، في الوقت الذي عجزت فيه هذه الأخيرة عن توسيع نفوذها لأنها فشلت في تشكيل أحلاف محليين كانوا ينظرون إليها كقوى احتلال مسيحية[10].

4. الافراغ والتفكيك:

تعرضت المدينة والريف في الجزائر المستعمرة إلى حرب قذرة، ففي حفل اقامة الحاكم العام للجزائر جول كامبون (Jules Cambon) (تولي سنة 1891) بمدية الجزائر ودعا إليه خمسة وعشرون من أعيان مدينة الجزائر، للذين يتكون دخلهم من ستة آلاف فرنك فلم يجد منهم سوى ستة أفراد منهم، لقد كان هذا مؤشر قوي عن اندثار البرجوازية التقليدية في المدينة، والمكونة عادة من الفقهاء والقضاة والأعيان والتجار، وأصحاب الأملاك، حيث لم يكتب لها البقاء إلا في نطاق ضيق بالحي العريق (القصبة)[11].

لقد كانت من بين الأساليب المعتمدة للقضاء على أعيان مدينة الجزائر وأهل الحضر، هو التهجير والنفي، والتفقير المقصود عن طريق، هدم الأسواق والقضاء على الحرف والصنائع، وإغراق الأسواق بالسلع الأوروبية، إلى جانب بناء المدينة الأوروبية على أنقاض المدينة العريقة[12].

ومع تراجع هذه الفئة واندثار أكثرها، أخذت الادارة الاستعمارية توظف بدلها عناصر جديدة ضعيفة الموارد ومغمورة الحسب والنسب وأكثر ولاء للفرنسيين، حيث أدخلوهم ضمن حيز الوساطة الأهلية، وتعاملوا معهم وفق قاعدة " التكريم" ومبدأ " المرء لا يعيش بالخبز وحده ولا بد له من رموز اجتماعية ومعنوية يعيش بها"، أما الجانب الثاني الذي عمدوا إليه هو تخريج المفرنسين من أحفادهم[13].

أما في المجتمعات الريفية فقد أدخل الاستعمار السياق التدميري لهذه الفئات وتشكلاتها الاجتماعية، وذلك بعد فكك القبائل وأخرجها من دائرة الروابط الجماعية وأدخل عليها مفهوم الملكية الفردية (قانون فارنيي 1873)، دون أن يشكل هذا على المستويين الاجتماعي والتاريخي استجابة لعلاقة تجانسية جديدة، وذلك عكس ما حدث في أوربا، حيث نجد أن الرأسمالية بعد أن فُككت المجتمعات الأوروبية الزراعية القديمة والاقدام على حلحلتها، عندها قام الرأسمال الصناعي بالتقاط الطاقات المحررة وتشغيلها بواسطة الصناعة الناشئة واعادة تنظيمها بواسطة علاقات جديدة تقوم على الأجر[14].

كما عمدت إدارة الاحتلال التي انخرطت في تأسيس مفهوم الدولة الحديثة[15]إلى تفكيك مؤسسة الجماعة، وإعادة تركيبها وفق تصورات تجعل منها آداة هشة قاصرة ذاتيا في التعاطي مع واقع اقتصادي واجتماعي تغير

بشكل جذري، وتحوير دورها من مؤسسة محلية تشتغل بشكل أفقي، إلى شكل عمودي ينفذ قرارات فوقية تمليها الإدارة الاستعمارية، حيث فككت هذه المؤسسة بعد إعادة رسم الخارطة العقارية والاعلان عن مشروع الملكية الفردية في قانون السيناتيس كونسلت 22 أفريل 1863، الذي شتت القبائل إلى مساحات جغرافية عرفها المشرع باسم دوار كومين (Douar commune)، انتج فيها المشرع مؤسسة الجماعة تخدم المشروع الاستعماري وتحفظ مصالحه في عمق الريف الجزائري[16].

5.الدخيل الاجتماعي والعمراني:

لم يحل القرن العشرين حتى اختفت العائلات ذات النفوذ والأسر الكبيرة بالريف، كما اندثرت البرجوازية التقليدية في المدن عامة وفي مدينة الجزائر بوجه الخصوص، إن هذه المستوطنات التي انتشرت كالفطريات تدرجت نشأتها وفق استراتيجية تم التنظير لها في المرحل الأولى للاحتلال، على غرار كتابات الأب الروحي للسانسيمونية انفونتان (Enfantin)، الذي كانت أفكاره بمثابة الهام للمشروع الاستعماري الاستيطاني في الجزائر، حيث اعتبر الرجل أن احتلال المنطقة الواقعة بين الأطلسيين التلي والصحراوي، هي الأحسن جغرافيا، (مياه، تربة، مناخ معتدل) وبالتالي ستكون هدفا مباشرا للاحتلال على رأسها إقليم قسنطينة، الذي يعد ثروة بحد ذاتها، بحيث يسير خط الاحتلال حسب انفونتان كالتالي: 01- احتلال عسكري من قسنطينة نحو تلمسان، عبر خط داخلي. 02- احتلال مدني بين الخط الداخلي والساحل.03- تسير عملية الاحتلال المدني بعدها من الساحل نحو الداخل .04- يتم إقامة احتلال مدني في النقاط الأكثر، أمنا وخصوبة وصحة بدءا من عمالة قسنطينة، دون إهمال دور الشركات في هذه العملية، ويسير الاحتلال المدني بعدها من الشرق نحو الغرب.ثم يتم في كل نقطة احتلالها عسكريا -حسب انفونتان دائما- تجميع من حولها سكان فلاحين يكونون من الجنود أنفسهم أو من المزارعين الأوروبيين، حيث يشكلون عائلات وقرى قريبة من مراكز الاحتلال، حتى توفر لهم الأمن، كما أن ممارسة الفلاحة ستكون ممكنة والمحاصيل محمية، إضافة إلى مراعاة قرب القرى من الموانئ أو المناطق الفلاحية، مع اتصالها بالأسواق قصد التزود بالحاجيات، ويضيف الأب الروحي للسانسيمونية أنه بإنشاء عدة قرى على طريق واحد يسهل على هؤلاء الأوروبيين، تبادل غلاتهم مع بعضهم وحتى مع العرب،كما يسهل على إدارة الاحتلال تحصيل الضرائب من الأهالي انطلاقا من هذه القرى[17].

لقد كان عدد سكان مدينة الجزائر عشية الاحتلال يضاهي عدد سكان مدينة قسنطينة بحوالي 25 ألف نسمة وبمساحة لم تتعدى 50 هكتارا، ومع نهاية القرن التاسع عشر ومع موجة الاستيطان وصل العدد إلى حوالي 180 ألف نسمة، وبحلول الذكرى المئوية ارتفع العدد إلى حوالي 350 ألف نسمة، حيث واكب زحف الدخيل الاجتماعي الأوروبي، تغيرات جذرية شهدتها المدينة، حيث انطلقت عمليات الهدم والبناء منذ عام 1830،

والتهيئة لكل من باب الواد وباب عزون. وعلى أنقاض ما تهدّم، تمّ بناء ساحةٍ عمومية بالقصبة السفلى، أُطلق عليها الساحة الملكية، وشقت الطرق الواسعة لتأمين حركة الآليات العسكرية، وبناء المساكن لإيواء الجنود وأسرهم. وخلال العقد الأول من احتلال المدينة، بدأت بواكير النموذج العمراني الاستعماري بالظهور وبصفةٍ مغايرة تماماً لنموذج العمران والطابع الأصلي للمدينة[18].

لقد تم هدم سور المدينة وكافة أبوابها عام 1846، وبناء الواجهة البحرية عام 1860، وتوسعة ميناء الجزائر ومتابعة شق الطرق الواسعة بين 1865- 1890، الأمر الذي دفع بزحف محاور النمو العمراني في شرق النواة القديمة ببناء حي (Isly) المعروف اليوم بحي العربي بن مهيدي، وغرب نواة المدينة ببناء حي باب الواد، وبذلك بدأت تظهر ملامح وجه عمراني جديد، يعبّر بلا شك عن مدينة أوربية في طريق النمو، حيث بنيت أحياء كثيرة على غرار حي ميشلي (Michelet) شارع ديدوش مراد، وهو الشارع الرئيسي بالمدينة حالياً، وتيلملي (Télemly)شارع كريم بلقاسم اليوم، وحي مصطفى باشا وساحة أول ماي و الحامّة كامتداد لمركز المدينة الجديدة، في المقابل بدأت المدينة القديمة تفقد تدريجياً دورها الوظيفي، وأضحت مجرد حي "القصبة"[19].

6. التغيرات الحادثة:

مع بداية القرن العشرين يكون المشروع الكولونيالي في الجزائر قد اكتمل ملمحه، وفي ظل هذه الظروف التي فكك فيها الريف وافرغت فيها المدينة، برزت إلى الوجود مفاهيم بنيوية ذات طابع نخبوي سياسي، ترجم في انخراط فئات عريضة من المجتمع الجزائري في النشاط الجمعوي والفكري، الفارق فيه أنه تبنته المدن بنخبتها ومؤسساتها، واحتضنته الأرياف بأوساطها العريضة، وهو النشاط الذي سرعان ما تطور في قالب سياسي، بنيوي ترجمته الأحزاب الوطنية بمختلف توجهاتها. وبدت هذه الظاهرة كواقع صحي، كون الفرد أصبحت لديه القابلية لالتقاط وتبنى مختلف الأفكار والايديولوجيات بتعدد مشاربها وتشعباتها، في الوقت الذي استطاع فيه التيار الوطني الاستقلالي أن يجد له مساحة أوسع، لأنه الاتجاه الوحيد الذي لبى "فطريا" رغبة الطبقة الأوسع انتشارا، والأكثر بؤسا، والأعمق تأثرا بالظاهرة الاستعمارية، فيما التيارات الأخرى كانت تلبية لفضول ديني، أو اشباع لحاجة عائلات منتفعة ومغمورة بالحسب والولاء للإدارة الاستعمارية[20].

في ظل هذه المتغيرات الحادثة، خرجت العلاقة بين الريف والمدينة من الطابع النفعي على أساس الريف مصدر الزروع والخضر، والمدينة وجهة التسوق وقضاء الحاجات العامة، وأيضا من الحلقة الضيقة والتضاد القائم بين "البلدي" و"البراني"، و"أهل المدينة" و"ناس الدوار"، إلى رابطة أوسع قوامها حلقات ايديولوجية، وتصورات أفقية، كان النصيب الأوسع فيها للتيار الوطني الاستقلالي، الذي استطاع منذ النصف الأول من القرن العشرين، أن يفكك العلاقة التقليدية القائمة بين الريف والمدينة، ويعيد بناءها في قالب مشروع وطني.

بقيت في هذه الظروف المدن الكبرى حيث يعيش المستوطنون ومقر الإدارات الكبرى هي حلبة الصراع والتحدي للاستعمار، حيث كانت مدينة الجزائر أكثر الفضاءات نشاطا، ويعد خطاب مصالي الحاج وعبارته الشهيرة" هذه الأرض ليست للبيع" في 02 أوت 1936 بالملعب البلدي لمدينة الجزائر أمام تجمع لحوالي 20000 جزائري، مؤشر قوي عن توظيف المدينة بزخمها التاريخي، وقدرتها في التعبئة الجماهيرية، أمام جاليات أوروبية تجذرت وجودا ومقر إدارة استعمارية تشعبت ممارسة[21].

وتطور التحدي إلى تأسيس المنظمة الخاصة سنة 1947 ورئيسها ابن مدينة الجزائر محمد بلوزداد الذي يصنف الأب الروحي للثورة التحريرية، وطبعا كان اجتماع المدنية للجنة الـ 22 الذين فجروا الثورة التحريرية في شهر أكتوبر من سنة 1954، أحد فصول تصفية الاستعمار، في عقر الحاضرة، التي جعل منها مهندسو ثورة أول نوفمبر منطقة وولاية تضاهي المناطق والولايات التاريخية.

لكن بعد مرور سنتين من اندلاع الثورة، لماذا فكر الشهيد العربي بن مهيدي وبعض القادة في نقل الثورة إلى مدينة الجزائر ؟ ولماذا نجحت هذه الأخيرة في كل تحدياتها وفشلت في "معركة الجزائر" (1957) ؟ وما محل الريف والمدينة في هذه الوقائع؟

7. الحاضنة الشعبية:

في الحقيقة لا يمكن اعتبار معركة الجزائر هي التجربة الأولى في نقل العمل المسلح إلى حيث الحواضر الاستيطانية والمراكز العمرانية الأوروبية، فقد سبقتها تجربة هجومات الشمال القسنطيني (20 أوت 1955)، حيث تعد اللبنة الأولى في طابعها المنظم والموسع، في هذا النوع من المخططات، التي تجلت أبرز صورها في هجوم " سكان تجمعات الدواوير والمشاتي" على المراكز الأوروبية أكبرها سكيكدة، والقرى الاستيطانية على غرار عين عبيد ووادي الزناتي والحروش ...الخ حيث استعملت في هذه الهجومات الفؤوس والمناجل وغيرها من الآلات التي تعبر عن نمط الريف الذي انقض على المدن والقرى الاستيطانية، حيث استطاعت هذه الهجومات أن تربك المشهد العام في الجزائر، وتؤسس لطابع آخر من العمل الثوري في الجزائر (هجوم الريف على المدن)[22].

طبعا وبعد أن اجتمع الريف والمدينة في قالب مؤسساتي (جيش وجبهة التحرير)، وفي الوقت الذي استطاع فيه الريف بما عاشه من مآسي تاريخية خلال الحقبة الاستعمارية، أن يشكل حاضنة شعبية للثورة التحريرية تجلت إحدى صوره في اللجان الشعبية، والتموين والدعم اللوجستيكي، كما استفاد أيضا من توزعه وتشعبه وبعده عن الرقابة الاستعمارية اللصيقة، واقتران الطبيعة الجزائرية بهذا الفضاء، كلها عوامل جعلت من الريف حاضنة

شعبية حقيقة للثورة، في الوقت الذي اشتدت فيه الرقابة على المدن التي تقطنها الجاليات الأوروبية، وكما أسلفنا بعض الفئات المغمورة من الجزائريين والموالين للإدارة الاستعمارية.

إن نموذج مدينة الجزائر يعبر عن تلك الحاضرة التي بتر الاستعمار تاريخها العمراني ووجدانها التراثي، وأفرغها من وعائها الأسري، ليختزل ماضيها في المدينة- الحي (القصبة)، التي استطاعت بتشكلاتها التاريخية والبشرية أن تتحول إلى حاضنة شعبية للثورة داخل مدينة الجزائر، حيث تحولت بيوتاتها المتشعبة وشوارعها المتفرقة إلى ملاذ آمن ومسرح مفتوح للعمل المسلح، وظفته جبهة التحرير الوطني كقاعدة تنطلق منها عمليات فدائية نوعية ودقيقة ضد الاستعمار الفرنسي بمختلف رموزه البشرية والإدارية، وشن اضراب الثمانية أيام (عرفت تاريخيا بمعركة الجزائر.1957).

في الحقيقة أدركت الإدارة الاستعمارية في تلك المرحلة أن معركة الجزائر هي معركة وجود، لأن القالب الاجتماعي والانثروبولوجي أثبت أن الصراع كان بين طبيعة ريفية (جزائريون) محلية متجذرة وطبيعة مدينية وافدة (معمرون) تشكلت في أعقاب الثورة الصناعية، وإذا استطاعت الطبيعة الاجتماعية الأولى أن تجد لها موضعا وقوة ضاربة في الجبال على غرار جبال الأوراس، وأن تنجح في تشكيل مناطق محررة، فلن يسمح لها بالزحف –حسب المدرسة الاستعمارية- نحو المدن الكبرى أهمها مدينة الجزائر، حيث بين أسوار الحاضرة يتحصن الطابع المديني الذي يرتسم في الجاليات الأوروبية، وانهياره هو انهيار للجزائر الاستيطانية، لذلك لم تتوانى الادارة الاستعمارية في الضرب "بيد من حديد"، واستعمال قوات المضليين، والتصفية السريعة لأحد مهندسي هذه المعركة وهو الشهيد العربي بن مهيدي.

خاتمـــــــــــة:

كشفت لنا معركة الجزائر (1957) أنها كانت حلبة صراع تاريخي بين مجتمعات البحر المتوسط، ففي الوقت الذي انخرطت فيه مجتمعات الضفة الشمالية في حياة المدينة، التي قولبت مدركاتهم وراكمت تجاربهم داخل أسوارها، بقيت مجتمعات جنوب المتوسط تعيش، على الطبيعة الأولى حيث الريف يغمرها والطبيعة المفتوحة ملاذها.

لقد أثبت التاريخ الطويل للاستعمار الفرنسي في الجزائر أنه جاء بمدنية مزيفة ودخيلة، لم يسنى لها الذوبان والاندماج وبقيت تعيش في أسوار محصنة ومراقبة عسكرية لصيقة، في المقابل كشفت الوقائع أن ثورة أول نوفمبر 1954 انتصرت، لما احتكمت إلى طبيعة انسانها المجبول على الريف وحياة البراري، فصنعت من هذه الطبيعة قوى جابهت بها أعتى الجيوش في تلك المرحلة وبما يملكونه من عتاد حربي وتسليح عسكري.

Références :

[1] - بومولة نبيل، صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني، إمارة المقرانيين في القرن 10هـ/ 16م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص، 127-131.

[2] - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514- 1830، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص، 71.

[3] - لقد بقيت الشريفية تتحين الفرصة للقضاء على العثمانيين إلى بداية القرن العشرين، عندما تحالف الشريف حسين مع البريطانيين، بعد المراسلات المشهورة التي عرفت بمراسلات الشريف حسين – ماكمهون توجت بإعلان الشريف حسين الحرب على الدولة العثمانية مكنته من تقليم أظافرها في فضاء شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق، يرجى الرجوع إلى:
الرسائل المتبادلة بين الشريف حسين والسيد هنري ماكماهون من 14 جويلية 1915 إلى 10 مارس 1916.__ www.http /Palastnieinarabic.com

[4] - قبل مرحلة حكم العثمانيين كان الفضاء المغاربي يقوم على الحكم الأسري " المدني" المتوارث للسلطة والنفوذ معتمدا في مد نفوذه على القوى المحلية الحليفة، أما حول مراحل الحكم العثماني في الجزائر يرجى الرجوع إلى:
Henri Delmas de Gramont, *Histoire d'Alger sous la domination Turque 15515-1830* , Edition Bouchène, Paris, 2002.

[5] - شهادات الأسرى الأوروبيين خلال المرحلة العثمانية أو الدراسات الأوروبية الحديثة التي اهتمت بهذه المرحلة كلها استعملت تسمية الدول البربرية على غرار:
Voyage dans les états barbaresques de Maroc, Alger, Tunis et Tripoli ou Lettres d'un des captifs qui viennent d'être rachetés par M.M. les Chanoines réguliers de la Sainte-Trinité, ark:/12148/btv1b10100470b , 1785, Bibliothèque nationale de France.
Jean Monlaü, *Les Etats Barbaresques*, presses Universitaire de France, France, 1974.

[6] - A.M.Pérrot, *Esquisse topographique et historique du royaume et de la ville*, Edition libraire Ladvocat, Paris, 1830, p, 31.

[7] -Le congrès d'Aix-la-Chapelle (1818), http/ www.Hitopedia.fr

[8] -L'Expédition d'Alger, causes de l'expédition 1830, http/ www.l'Algérie ancienne et moderne.fr

[9] - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ص، 25.

[10] - المرجع نفسه، ص، 121.

[11] - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، دار البصائر، 2005، ص، 92.

[12] - المرجع نفسه، ص، 95.

[13] - المرجع نفسه، ص، 113.

[14] - الهواري عدي، الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكيك الاقتصادي الاجتماعي 1830- 1960، ترجمة جوزيف عبد الله، دار الحداثة، بيروت، 1983، ص، 135.

[15]- حول الدولة مفهوم الدولة الحديثة وكيفية اشتغالها في أوربا يرجى الرجوع إلى:
Sandor Bethon, *La naissance de L'État moderne européenne et les changements de la fonction,* délkelet europa-south-east europ international relation quarterly,Vol. 1. No. 4 (Hiver 2010/4.).

[16] - Exécution du Sénatus-Consulte du 22 avril 1863, *constitution des Douars commune,* procès-verbaux du Sénatus -Consulte: Tribu des Ameurs Cheraga, nº 14. D.R.C.C.

[17] - Enfantin, *Colonisation de l'Algérie,* édition P. Bertrand, Paris, 1843, p.207-211, 219-220.
[18] - فوزي بودقة، "وجه مدينة الجزائر و جوانب من مسارها العمراني"، مجلة إنسانيات، ع 44-45، 2009، ص، 46.
[19] - المرجع نفسه، ص، 48.
[20] -Benjamin Stora, *La guerre d'Algérie*, collection repéré, France, 2013,p.97.
[21] - بن يامين سطورا، مصالي الحاج : رائد الوطنية الجزائرية 1898- 1974، ترجمة صادق عامري، مصطفى ماضي، دار القصبة للنشر،2007، ص، 78.
[22] - توفيق بن زردة " هجومات 20 أوت 1955" المعالم، العدد 18، ص، 39 .

• Bibliographie :

- Benachenhou (Abdellatif), *Régime des terres et structure agraires au Maghreb,* édition Populaire de l'armé, Alger .1970.
- Bencheikh-El-Fegoun Abbasi Fatiha, *L'impact des lois foncières colonial sur la situation socio-économique des paysans Algériennes, de 1873 à 1911, Application à trois communes de l'ancien arrondissement de Constantine (El Kheroub-Oum el Bouaghi-El Milia),*doctorat d'état en sociologie de développement, université Mentouri de Constantine, l'année universitaire 2006-2007.
- Bessaoud Omar « L'Algérie agricole: de la construction du territoire à l'impossible émergence de la paysannerie » *Insanyat*, nº 7,1999,p,5-32.
- Bordieu Pierre, *Sociologie de l'Algérie,* collection , que sais-je, presse Universitaire de France, 1958.
- Nouschi (André), *Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquête jusqu'en1919*,Essai d'histoire économique et sociale ,PUF/C.N.R.S, Paris 1961.

2.المصادر:

بالعربية

- بن خدة يوسف، جذور أول نوفمبر 1954، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- بورقعة لخضر، مذكرات شاهد على اغتيال الثورة، دار الحكمة، 1990.
- حربي محمد، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، تر. كميل قيصر داغر، مؤسسة الأبحاث العربية، دار الكلمة للنشر، بيروت، 1973.
- خلاص أحسن، العربي بن مهيدي رمز الوطنية، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، 2017.
- شرقي إبراهيم، في قلب معركة مدينة الجزائر، إضراب ثمانية أيام واعتقال العربي بن مهيدي، دار هومة، 2011.
- مشاطي محمد، مسار مناضل، تر. زينب قبي، منشورات الشهاب، باتنة.

بالفرنسية:

- Aussaresses Paul, *Service spéciaux*, *Mon témoignage sur la torture*, 1955-1957, édition Berien, France, 2001 .
- . Begeard Marcel, *Ma vie pour la France*, édition Rocher, France, 2010.
- . Massu Jacques, *La vraie bataille d'Alger*, édition Rocher, France, 1997.
- . Pellissier Pierre, *La bataille d'Alger*, édition Tempus, France, 2002.
- . Salin Raool, *L'Algérie française*, édition Rocher, 2001 .
- .Yves Courrière, *La guerre d'Algérie*,T2 édition Fayar, France,